# دور الأسرة فى تكوين وتنمية القيم الدينية لدى الطفل

# دور الأسرة فى تكوين وتنمية القيم الدينية لدى الطفل

أ.د. على راشد

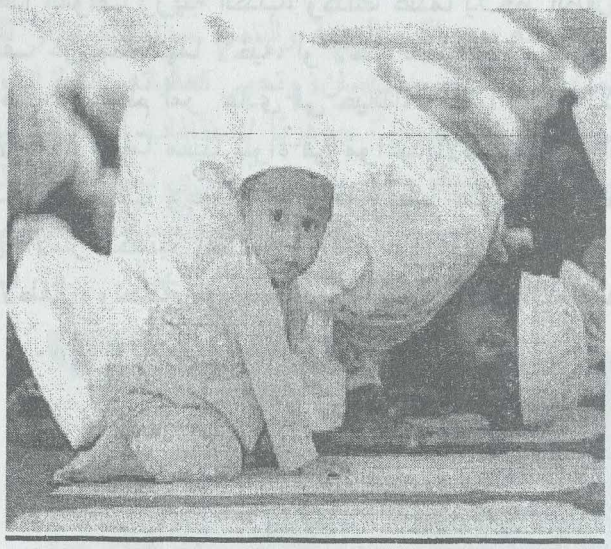

## مقدمة

تُعد الأسرة من أهم المؤسسات التربوية التى تهتم بتربية الطفل تربية صحيحة كاملة شاملة متزنة من جميع الجوانب : المعرفية، والعقلية، والبدنية، والنفسية، والاجتماعية، والخلقية، أى أن على الأسرة واجب بناء الشخصية المتكاملة للطفل، وخاصة الجانب الذى يهتم بالمبادئ والقيم والسلوكيات الدينية.

فالأسرة – متمثلة فى الأم والأب – مسئولة مسئولية كاملة فى غرس وتنمية القيم الدينية فى وجدان الطفل، ومن هذه القيم : الصدق، والأمانة، والشجاعة، والعدل، والتعاون، والنظام، والنظافة، والرحمة، والمساواة، والتواضع، والوفاء، واحترام العمل، والإخلاص، والمروءة، إلى غير ذلك من القيم. وهذه القيم الدينية؛ قبل أن تكون أسسًا نظرية، فهى سلوك وعمل وواقع للحياة يمكن ملاحظتها، ورصدها، والتثبت من أن الفرد يتحلى بها، وهى تستهدف تنشئة الفرد الصالح لنفسه ولمجتمعه، فإذا تمت هذه التنشئة تحقق قيام المجتمع القوى السليم الذى يتعاون أفراده على البر والتقوى، وتستقر فيه دعائم الكفاية والعدل والسلام.

ومن الملاحظ أحيانًا فى الحياة العامة أن بعض الآباء يغرسون فى أطفالهم – دون وعى – بعض السلوكيات غير الخلقية، وغير المقبولة من أفراد المجتمع، ويتم ذلك حين

يلاحظ هؤلاء الأطفال تصرفات وسلوكيات آبائهم غير السليمة، وبالتالى فإنهم يقلدون هذه التصرفات وتلك السلوكيات، وتصبح فيما بعد من سمات شخصياتهم، فمثلاً إذا حضر أحد الأشخاص لزيارة الأب، فقد ينكر هذا الأب نفسه عن هذا الشخص لعدم رغبته فى لقائه، فيتعلم الطفل من هذا الموقف رزيلة الكذب، وكذلك عندما يلاحظ الطفل أنه يعامل من قبل والديه معاملة تختلف عن معاملتهما لأخيه، أو لأخته لسبب معروف أو غير معروف، فإنه يتعلم عدم المساواة، وأن الظلم أمر عادى فى حياتنا، وأيضًا عندما يلاحظ هذا الطفل أن الحياة فى أسرته لا تأخذ نظامًا معينًا سواء فى مواعيد الاستيقاظ، أو النوم، أو عند تناول الطعام، وأن البيت غير مرتب وغير نظيف، فإنه ينشأ على عدم النظام، وعدم النظافة، وهكذا نجد بعض الأسر تكسب أطفالها رزائل عدة، وتتأصل هذه الرزائل فى كيان وشخصية هؤلاء الأطفال، وتصبح من خصائص وسمات شخصياتهم عند الكبر.

## مفهوم القيم الدينية

يحتاج الفرد دائمًا فى أثناء تفاعله مع الأشخاص والمواقف والأشياء إلى نظام من القيم يعمل بمثابة موجهات لسلوكياته، وطاقاته، ودوافع لأنشطته، ومن البدهى أنه إذا غابت القيم عن الفرد او تضاربت فإن هذا الفرد سوف يغترب عن ذاته، وعن مجتمعه، ويفقد دوافعه للعمل، ويضطرب ويقل إنتاجه، وينطبق هذا تمامًا على المجتمعات التى تفقد قيمها، وتتعرض إلى التفكك والانهيار والضياع.

ويمكن القول بأن القيم الدينية هى تلك الأخلاق الكريمة التى جاءت فى الكتب السماوية، والتى يجب أن يتحلى بها كل فرد فى المجتمع. ومفهوم الأخلاق يعنى أنه نظام يجدد سلوك الإنسان فى الكون كما ينبغى بحسب مركزه فيه، والغاية من القيم الدينية ابتغاء وجه الله

سبحانه وتعالى، يقول الله تعالى فى كتابه العزيز "والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة لهم عقبى الدار" (آية ٢٢ من سورة الرعد).

وهناك علاقة واضحة بين القيم الدينية والتنمية سواء للفرد أو للجماعة، حيث تعد عنصرًا أساسيًا للتنمية؛ لأنها تسمو بالإنسان، وتحمى فعالياته وإنجازاته، فحاجة التنمية إلى القيم أمر مؤكد نظرًا لأنها تعد عنصرًا جوهريًا لاستقطاب أى نشاط منتج لتسمو به فوق الحاجة الوقتية والمنفعة الشخصية، وهى من ناحية أخرى تحمى شبكة العلاقات الاجتماعية من أية آفة تحاول تقطيعها، وكلما حدث إخلال بالنظم القيمية فى مجتمع معين حدث تمزق فى شبكة العلاقات الاجتماعية، وتعرض هذا المجتمع للانهيار.

## سمات المناخ الأسرى المناسب لاكتساب الطفل القيم الدينية

يمكن تحديد هذه السمات فى النقاط الآتية :

١. توافر جو من الحب المتزن، والاحترام المتبادل بين الآباء والأبناء.

٢. توافر القدوة الحسنة للأطفال، وذلك بالتزام الآباء بتلك القيم فى سلوكياتهم.

٣. مراعاة توافر جو يشوبه الثقة المتبادلة بين الآباء والأبناء، مع إعطاء مساحة مناسبة من الحرية لهؤلاء الأبناء للتعبير عن آرائهم.

٤. الحرص على مكافأة السلوك الحسن للطفل، والمرغوب فيه، وتشجيعه ماديًا ومعنويًا، والزجر للسلوك غير المرغوب فيه، مع توضيح عيوب هذا السلوك.

٥. توافر فرص مشاركة الآباء لأبنائهم فى قضاء أوقات مرح معهم، والذهاب معًا إلى أماكن ترويحية، مثل الرحلات، والمتنزهات، وغير ذلك.

٦. عدم المفاضلة بين طفل وآخر بسبب السن، أو الجنس، أو أى عامل آخر.

٧. إتاحة الفرص للطفل لاكتساب القيم الدينية عن طريق أساليب عديدة مناسبة.

## أهم أساليب اكتساب الأطفال للقيم الدينية

يمكن تحديد أهم تلك الأساليب فى النقاط التالية :

### أولاً : أسلوب المحاكاة والتقمص للقدوة الحسنة

يتم اكتساب القيم من خلال استجابة الأطفال لأشياء يرونها، ويسمعونها، ويتفاعلون معها، وهم يقلدون الكبار، سواء كانوا آبائهم، أو غيرهم من أفراد الأسرة، ويمكن القول بأن النموذج الذى يتمثل فى تصرفات الآباء كما يتلقاها الأطفال أهم فى تشكيل سلوكهم بوجه عام من التعليمات اللفظية التى تصدر عن هؤلاء الآباء.

## ثانيًا : أسلوب الثواب والعقاب

يكتسب الطفل القيم الدينية عندما يلاحظ أن بعض أقواله وأفعاله تبعث على رضا من حوله، وينال عليها تعزيزات، ومكافآت مادية ومعنوية، وأن بعض أقواله وأفعاله تسبب غضب من حوله وسخطهم عليه، وينال عنها العقوبات المعنوية، أو البدنية؛ وبالتالى فإن هذا الطفل سيتعلم، ويكرر الاستجابات والسلوكيات المرغوبة ممن حوله، والتى تصاحبها عملية رضا وسرور وتعزيز، كما أنه يستبعد من استجاباته وسلوكياته تلك التى تصاحبها عملية غضب وسخط وعقاب للآخرين.

## ثالثًا : أسلوب الممارسة الفعلية

من أساليب اكتساب الأطفال للقيم الدينية أسلوب الممارسة الفعلية، فمشاركة الطفل فى ترتيب حجرته وأدواته؛ تعوده على قيمة النظام، ومساعدة الطفل لأمه فى تحضير مائدة الطعام – بما يتناسب مع قدراته – يغرس وينمى فيه قيمة التعاون، وهكذا فإن الممارسة الفعلية للسلوكيات التى تتضمن القيم الدينية من شأنها أن تغرس فى الطفل هذه القيم وتنميها فيه.

## رابعًا : الأسلوب القصصى

يلاحظ أن الأطفال يحبون القصص والحكايات، وخاصة الخيالية والمثيرة منها، فهم شديدو التعلق بها، وهم يستمعون إليها – من الأب والأم، او غيرهما – بشغف، ويحلقون فى أجوائها، ويتجاوبون مع أبطالها، ويتشبعون بما فيها من أخيلة، وما يتحلى به البطل من قيم وسلوكيات إيجابية. وعلى من يقص القصص على الطفل أن يجعله يتعظ فى نهايتها، ويؤمن بما فيها من قيم مرغوبة تؤدى إلى السعادة وإلى خير البشرية.

## خامسًا : الأسلوب المسرحى

يساعد المسرح بخصائصه الدرامية من عرض تمثيلى، وموسيقى تصويرية، وديكور، وإضاءة على اندماج الأطفال فى هذا العرض المسرحى، ونقلهم إلى العالم الذى يسعدهم أن يعيشوا فيه، وتصل بهم إلى قمة المتعة والانفعال والتأثر إذا ما روعيت الخصائص التربوية والسيكلوجية والفنية فإذا كان الأطفال بعد ذلك هم الممثلون، فسرعان ما يتقمصون الشخصيات التى يقومون بأدائها بمتعة وسرور، ويتشربون القيم المتضمنة بالنص المسرحى، هم والأطفال الذين يشاهدونهم كمتفرجين.

ويتضمن هذا الأسلوب؛ أسلوب الأناشيد، حيث يتعلم الأطفال بعض القيم من خلال ترديد أنشودة أو أغنية تحث على قيمة من القيم المنشودة، وذلك فى إيقاع جميل ومحبب.

## سادسًا : أسلوب برامج الأطفال التلفازية

للتلفاز قدرات كبيرة تجعله فى مقدمة وسائل الاتصال بالأطفال، حيث يتضمن الصورة المتحركة، والصوت، والألوان، والموسيقى، فيعمل على إشباع خيال الأطفال، ويمثل فى الوقت ذاته وسيلة متميزة لنقل الخبرات والمعلومات لهؤلاء الأطفال فى صورة واضحة ومعبرة وموحية.

فإذا ما اختيرت برامج التلفاز، والقصص والحكايات من قبل الخبراء وأهل التربية الدينية فإنه يمكن أن تؤدى هذه البرامج، وتلك القصص والحكايات إلى إكساب الأطفال العديد من القيم والاتجاهات المستهدفة.

## مثال عن دور الأسرة فى تكوين وتنمية قيمة "الأمانة" لدى الطفل

تعد الأمانة قيمة أساسية من القيم الدينية، وهى مقترنة بحفظ حقوق الغير. يقول الله تعالى : "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها" (آية ٥٨ من سورة النساء). وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : "آية المنافق ثلاث : إذا تحدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم" (متفق عليه).

وقد يهمل بعض الآباء تكوين اتجاه لدى الطفل للتميز بين ما يملكه، وما لا يملكه، فيتركونه بدون ممتلكات (أدوات خاصة به مثل : اللعب، والمجلات، والقصص)، أو يجعلونه ينشأ فى بيت يتميز بأن كل ما فيه ملك للكبار؛ مما يجعل الطفل لا يميز بين ما يحق له أن يمتلك، وما لا يحق له هذا الامتلاك، ويصبح أكثر ميلاً إلى الاعتداء على حقوق وملكية غيره من إخوانه وأقرانه.

ومن الأساليب الأسرية فى تكوين وتنمية قيمة "الأمانة" لدى الطفل :

١. **أسلوب المحاكاة والتقمص للقدوة الحسنة :** من الأمور التى ينبغى أن يحرص عليها الآباء فى هذا الصدد أن يكونوا قدوة حسنة لهؤلاء الأبناء من حيث سلوك احترام الغير فيما يملكونه، فمثلاً : لا يستعمل الأب أدوات المفروض أنها ملك للأم دون استئذانها، ولا تأخذ الأم أمام طفلها نقودًا من حافظة نقود الأب دون استئذانه، وهكذا فى كل السلوكيات التى تتصل بملكية الغير، والتى يلاحظها الطفل من خلال تصرفات الأب والأم، وكذلك ينبغى عليهما احترام ملكية الطفل لأشيائه الخاصة، ليكونا قدوة حسنة له فى ترسيخ قيمة الأمانة فى نفس الطفل.

٢. **أسلوب الممارسة الفعلية للطفل :** من الأمور التى تجعل الطفل يكتسب قيمة الأمانة من خلال الممارسة الفعلية ما يلى :

أ- عدم مقابلة الآباء اعتداء الطفل على لعب أو حلوى غيره من الأطفال بالعقاب البدنى، أو بالإهانة، بل يجب تنبيه الطفل برفق إلى أن ما فعله سلوك خطأ، وعليه أن يعيد ما أخذه بغير حق.

ب- محاولة الأب والأم فى أن يجعلا الطفل يدرك أنه كى يحترم ملكيته الخاصة فعليه أن يحترم هو الملكية الخاصة للآخرين، ولا يحرمهم منها.

ج- تكوين وتنمية شعور الطفل بالملكية بتخصيص أشياء يمتلكها مثل : مكان خاص له فى النوم، ودولاب خاص لملابسه ولعبه، وإعطاء الطفل مصروفًا ماليًا مناسبًا بشكل منتظم يتناسب مع عمره، ومع وسطه الاجتماعى.

د- تصميم مواقف درامية مقصودة تنمى قيمة الأمانة لدى الطفل، كأن يمثل الأب دور من وجد شيئًا لا يملكه ويعلن عنه، وتمتدح الأم هذا السلوك أمام الطفل وتشجعه، وبعد ذلك يقوم الطفل بهذا الدور، ويعلن أنه وجد شيئًا لا يملكه، ويتم تشجيع الطفل على هذا السلوك ماديًا ومعنويًا.

٣. الأسلوب القصصى : يتم استماع الطفل لعدد من القصص والحكايات التى يدرك من خلالها قيمة الأمانة، مثل القصص التالية :

أ- قصة الفتاة التى رفضت أن تغش اللبن بالماء كما أمرتها أمها، وقالت لها : إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أمرنا أن نكون أمناء، ولا نغش الناس، وعندما قالت لها الأم : إن عمر لا يرانا الآن، ردت الفتاة المؤمنة التى تتحلى بالأمانة : إذا كان عمر لا يرانا، فإن رب عمر يرانا. وقد سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه قول هذه الفتاة الأمينة، وزوجها من ابنه، وأصبحت هذه الفتاة فيما بعد جدة لأمير المؤمنين "عمر بن عبدالعزيز" خامس الخلفاء الراشدين.

ب- قصة "حماد" الذى كان يعمل سائقًا لسيارة أجرة، وعندما قام بتوصيل عائلة أجنبية من أحد الفنادق إلى مطار القاهرة الدولى لاحظ وهو عائد من المطار وجود حقيبة جلدية صغيرة قد نسيتها هذه العائلة فى السيارة، وعندما فتحها وجد فيها جوازات سفر، وتذاكر الطيران، ومبلغًا كبيرًا من المال. فعاد "حماد" مسرعًا إلى المطار، وفى داخل

صالة السفر أخذ يبحث عن أصحاب الحقيبة فوجدهم عند مركز شرطة المطار، وكان من حولهم مجموعة من ضباط الشرطة، ولاحظ أن أفراد العائلة الأجنبية فى حالة نفسية سيئة من فقدان الأمل والعثور على حقيبتهم الضائعة، وفى التو أعاد السائق "حماد" الحقيبة إلى أصحابها الذين فاجأتهم الفرحة الغامرة، وسعدوا بعودة الحقيبة وكل ما فيها أيما سعادة، وحاولوا إعطاء السائق الأمين مكافأة مالية على أمانته، ولكن "حماد" رفض هذه المكافأة تمامًا، وأوضح أن مكافأته الحقيقية تكمن فى سعادتهم، وعندما علم رئيس الهيئة المشرفة على المطار بهذا الأمر؛ منح "حماد" مكافأة مالية كبيرة، وشهادة تقدير كتب عليها "مصر تحيى بكل فخر السائق الأمين حماد".